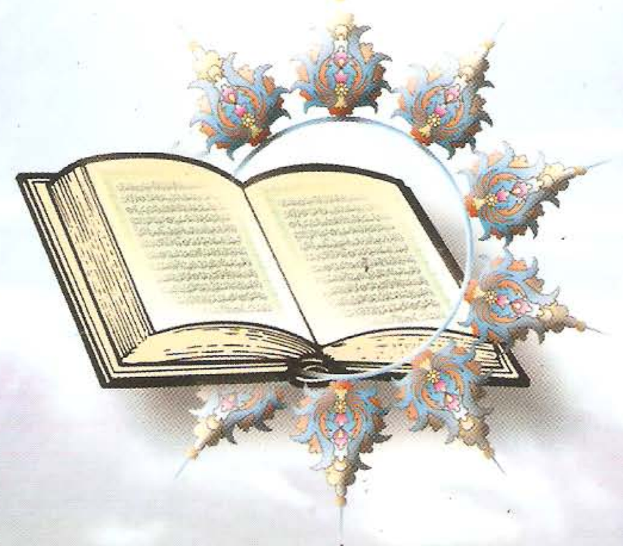


الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم

أو

« نقد قول السيوطي في الإتقان:
أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ »



تأليف

سماحة الشيخ الإمام شيخ الاسلام

محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ

مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية سابقاً - طيّب الله ثراه -

استلها من مجموع فتاويه وقدم لها

الفقير إلى عفو الله

عبد القادر بن محمد الغامدي الجعيدي

المدرّس بمعهد الحرم المكي الشريف

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

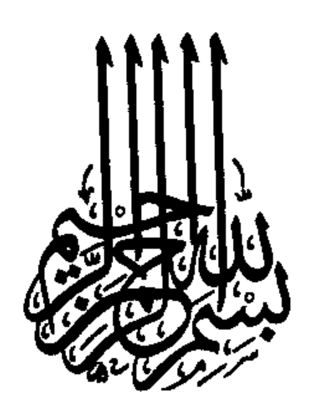


الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم

أو

« نقد قول السيوطي في الإتقان »

أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ »


بسم الله الرحمن الرحيم

الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم

أو

« نقد قول السيوطي في الإتقان:
أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ »

تأليف
سماحة الشيخ الإمام شيخ الإسلام
محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ
مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية سابقاً - طيّب الله ثراه -

استلها من مجموع فتاويه وقدم لها
الفقير إلى عفو الله
عبد القادر بن محمد الغامدي الجعيدي
المدرّس بمعهد الحرم المكي الشريف
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



ⓒ مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف

الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم أو «نقد قول السيوطي في الإتقان: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم». / محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. ـ الرياض، ١٤٢٥هـ

٨٠ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٣-٤١٩-٠١-٩٩٦٠

١ ـ علوم القرآن ٢ ـ القرآن ـ مباحث عامة أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٠ ١٤٢٥/٦٦١٢

ردمك: ٣-٤١٩-٠١-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ١٤٢٥/٦٦١٢

مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ـ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

★ فرع طريق الملك فهد: الرياض ـ ت: ٢٠٥١٥٠٠ ـ ف: ٢٠٥٢٣٠١
★ فرع مكة المكرمة: ت: ٥٥٨٥٤٠١ ـ ف: ٥٥٨٣٥٠٦
★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري ـ ت: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ ف: ٨٣٨٣٤٢٧
★ فرع جدة: ميدان الطائرة ـ ت: ٦٧٧٦٣٣١ ـ ف: ٦٧٧٦٣٥٤
★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة ـ ت: ٣٢٤٢٢١٤ ـ ف: ٣٢٤١٣٥٨
★ فرع أبها: شارع الملك فيصل ـ تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
★ فرع الدمام: شارع الخزان ـ ت: ٨١٥٠٥٦٦ ـ ف: ٨٤١٨٤٧٣

وكلاؤنا في الخارج

★ القاهرة: مكتبة الرشد ـ ت: ٢٧٤٤٦٠٥
★ بيروت: دار ابن حزم ـ ت: ٧٠١٩٧٤
★ المغرب: الدار البيضاء ـ وراقة التوفيق ـ ت: ٣٠٣١٦٢ ـ ف: ٣٠٣١٦٧
★ اليمن: صنعاء ـ دار الآثار ـ ت: ٦٠٣٧٥٦
★ الأردن: عمان ـ الدار الأثرية ـ ت: ٦٥٨٤٠٩٢ ـ جوال: ٧٩٦٨٤١٢٢١
★ البحرين: مكتبة الغرباء ـ ت: ٩٥٧٨٣٣ ـ ٩٤٥٧٣٣
★ الإمارات: مكتبة دبي للتوزيع ـ ت: ٤٣٣٣٩٩٩٨ ـ ف: ٤٣٣٣٧٨٠٠
★ سوريا: دار البشائر ـ ت: ٢٣١٦٦٦٨
★ قطر: مكتبة ابن القيم ـ ت: ٤٨٦٣٥٣٣

المقدمة

الحمد لله الملك الحق المبين، الذي يفعل ما يشاء، ولا يعجزه شيء، وهو على كل شيء قدير، لم يزل، ولا يزال يتكلم، متى يشاء كيف يشاء بما يشاء، بحرف وصوت - غير مخلوقيْن- ، يليقان بجلاله وعظمته(١)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢) كلم موسى تكليما، ولم يزل غفورا عليما، تعالى عن الخرس، والعجز، والجهل، وعن النقص والعيب، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله الذي هو أعلم الخلق بالله، وأفصح عباد الله، وأحرص الخلق على بيان ما أمره الله ببيانه وتبليغه إلى أمته، فبلغ البلاغ المبين، حتى لا تجد في كلامه أدنى لبس وأقل اشتباه، تركنا على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فصل: في وجود الرد على البدع، وذكر بعض أسباب انتشارها، والتحذير منها.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٦٥، ٧٠، ١٧).

(٢) سورة الشورى، من الآية: ١١ .

فإن من أفضل أنواع الجهاد، وأعظم الواجبات: الرد على البدع وأهلها، وكشفها وإزالة اللثام عنها، وتفنيدها بالدليل والبرهان والحجة الناصعة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والمعقول الصريح، السالم من الشبهة والشهوة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة إعذاراً لرب العالمين، ورحمة لعباده المسلمين.

ألا وإن من أعظم أسباب انتشار البدع، هي أن يقع فيها أو يذكرها من غير رد أو إنكار: بعض أهل العلم - عفا الله عنهم - بغير قصد، الذين قد لا يستغني عن كتبهم طلاب العلم، وبعض الطلاب: لا قدرة لهم على تمييز الغث من السمين، وليس عندهم تحصين كاف في باب الاعتقاد، فينبهروا بسعة علم قائليها، أو ثناء بعض العلماء على هذه الكتب، مع أن الثناء على الكتاب لا يعني سلامته من كل الأخطاء، فيتأثروا بها، أو يستدل أهل البدع بكلام هؤلاء العلماء ملبسين بها عليهم، وما علموا أن كل شخص غير الأنبياء فيؤخذ من قوله ويترك، وأن الأمة قد أجمعت أنه لا معصوم إلا الأنبياء فيما يبلغون عن الله، وأن العالم مهما كان علمه فقد يزل الزلة الشنيعة، التي قد يعرفها صغار الطلبة، وذلك من قدرة الله على كل شيء، وغافلين عن قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢ .

ومعلوم أن الواجب في كل مسائل الاعتقاد وغيرها ومنها ومن أعظمها: معرفة ما يجوز على الله تعالى من الأسماء والصفات والأفعال، وما يجب له سبحانه من ذلك، وما يمتنع عليه: هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الذين أجمع المسلمون على درايتهم وهدايتهم[١].

والكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، هي الأصول الثلاثة التي يَزِنُ بها أهل السنة والجماعة كل ما عند الناس من أقوال أو أعمال من مسائل الدين[٢]، فمن خالف أحد هذه الأصول: فقد فارق الجماعة واتبع غير سبيل المؤمنين، - عياذاً بالله تعالى - مع التفريق بين من يعذر بتأويل واجتهاد وبين غيره، إلا أن الواجب بيان زلل المجتهدين مع الحفاظ على مكانتهم، والتأدب معهم.
وإن من البدع المنتشرة في أيامنا والتي يجب بيانها والحذر منها بدع كثيرة خطيرة، حذر منها السلف رضي الله عنهم أكمل تحذير.

سبب تحقيق الكتاب:

ومن تلكم البدع المنتشرة بدعتان خطيرتان، مستكنٌ فيهما الكفر المبين، فهو إما لازمهما، أو السبب والحامل عليهما، وإن

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص: ١٧٧ تحقيق: د. حمد التويجري. دار الصميعي.
(٢) انظر: آخر العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

كنا لا نكفر باللوازم إلا أن يلتزمها صاحبها، ما دام اللازم خفيا، ولو كان هذا اللازم ظاهرا للزم تكفير صاحبها كائنا من كان[1]، إلا أنه هنا خفيٌ ومستكنٌ، وهكذا شأن البدع المكفرة التي يقع فيها أهل القبلة من الثنتين والسبعين فرقة.

وهاتان البدعتان - ويأتي ذكرهما قريبا بإذن الله - لازمهما: وصف الله تعالى بالخرس والجهل في بعض الأوقات أو كلها، وهو من أعظم النقص والعيب، لأن لازمهما هو القول بخلق القرآن - عياذا بالله - وأن كلام الله مخلوق، أو هو السبب في البدعة، وهذا كفر عند كل العلماء وهو: أكبر مخرج من ملة الإسلام عند جل العلماء[2]، وكم تحمل الإمام المبجل إمام أهل السنة والجماعة أبو عبدا لله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه - من خطوب وأمور، من أجل نفي هذا النقص عن الله وهذا الشر

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٠٧).

(٢) قال الإمام أبو نصر السجزي: (واتفق المنتمون إلى السنة بأجمعهم على أنه [القرآن] غير مخلوق، وأن القائل بخلقه كافر، فأكثرهم قال: إنه كافر كفرا ينقل عن الملة، ومنهم من قال: هو كافر بقول غير الحق في هذه المسألة. والصحيح الأول، لأن من قال: إنه مخلوق صار منكرا لصفة من صفات ذات الله عز وجل، ومنكر الصفة كمنكر الذات، فكفره كفر جحود لا غير). كتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت ص١٠٦. تحقيق: محمد باكريم با عبدالله. دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. وانظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٦، ٤٨٧). وقال السجزي: (ومنكر القرآن العربي وأنه كلام الله كافر بإجماع الفقهاء) المصدر نفسه ص١٠٧.

المستطير عن الأمة، حتى قال علي بن المديني -رحمه الله- وغيره: (إن الله ﷻ أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة) رواها الخطيب(١) ومن طريقه ابن الجوزي وغيره(٢). بل رويا ابن الجوزي عن ابن المديني أيضاً قوله: (ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ما قام أحمد ابن حنبل. [- قال الميموني -] : قلت: يا أبا الحسن، ولا أبو بكر الصديق؟ قال: ولا أبو بكر الصديق، إن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب)(٣).

فإن القرآن من علم الله كما بين الله تعالى فقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾(٤) وغيرها من الآيات، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد وصف الله بالجهل قبل ذلك وحسبك به كفرا، وأيضاً لو كان كلامه تعالى مخلوقا، أو أنه تعالى لا يتكلم بحرف وصوت، فهذا

(١) في تاريخ بغداد (٦/ ٩٧-٩٨) ت: د. بشير عواد. ط (١) ١٤٢٢هـ.
(٢) انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ١٤٨: الباب الثالث عشر، ضمن أقوال علي بن المديني. أو انظر: تهذيبي له ص ٥٨ . دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
(٣) المراجع السابقة والخبران معاً في طبقات الحنابلة (٢/ ١٣٥-١٣٦) وعزاهما ابن أبي يعلى إلى الخطيب. ت: د. عبدالرحمن العثيمين.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٦ .

يعني أنه كان أخرسا أو لا زال كذلك - تعالى عن ذلك - والأدلة على هذه المسائل، وعلى أن القول بخلق القرآن كفر، وأنه يلزم من ذلك وصف الله تعالى وتقدس بالخرس والنقص والجهل، الذي أجمع العقلاء على تنزيهه عنه، أكثر من أن تحصر - ومهما حاولوا القول أن ذلك غير لازم، وأن التقابل بين الكلام والخرس تقابل عدم وملكة[١]، فلا محيد لهم عنه وتلك حجة قد تبين فسادها وتهافتها، فإنه لو لم يكن ضد نوع الكلام الخرس لجاز أن تقول للأخرس متكلم، إضافة إلى أن هذا اصطلاح خاص بهم، وأن القابل لصفة الكلام أكمل من الذي لا يقبل، وغير ذلك من الوجوه التي تنسف تحكمهم وبدعتهم وهذه المسائل مبسوطة في مظانها من كتب أهل السنة[٢]. والآن إلى ذكر البدعتين.



(١) انظر: كتابي (صفة النزول الإلهي) ص ٣٨٥

(٢) انظر على سبيل المثال الكتاب القيم: «الرد على من أنكر الحرف والصوت» لأبي نصر السجزي رحمه الله. وانظر: التدمرية ص ١٥٢، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٢٢)، (٣/ ٣٦٧)، (٤/ ٣٥) وما بعدها.

فصل

ذكر البدعتين

البدعة الأولى: القول «أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن الكريم من اللوح المحفوظ ونزل به على نبينا محمد ﷺ» ولم يسمعه جبريل من الله مباشرة، وهو معتقد الجهمية من الكلابية والأشاعرة.

وهي بدعة شنيعة أصلها هو القول بأن كلام الله مخلوق - كما سبق - أو أن كلامه هو المعنى النفسي القديم وأنه لا يتكلم بحرف وصوت بمشيئته وقدرته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والرد على هذه البدعة هو موضوع هذه الرسالة المباركة التي نقدم لها فلا نطيل الكلام حولها هنا، ولكن يكفينا هنا نقل قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه قال: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها: أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل، وجبريل سمعه من الله عز وجل)[1] فهذا إجماع سلف الأمة وأئمتها وخلفها، ولا خير فيما خالف ذلك البتة، بل هو الضلال المبين والشر المستبين، واتباع لغير سبيل المؤمنين، والأدلة التي تذم وتنهى عن مفارقة الجماعة كثيرة متواترة أعاذنا الله من ذلك.

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٨).

وهذه البدعة منتشرة انتشارا كبيرا وخاصة في كثير من كتب علوم القرآن، والتجويد ونحوها، وفي هذه الإجازات التي بأيدي الطلاب: بالقراءات ونحوها، تجد في أول أسانيدهم: عن رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن اللوح المحفوظ، عن رب العالمين.

ويأخذ الطالب السلفي هذه الإجازة فرحا بها غير عالم بهذه البدعة الخطيرة في آخرها، وهي القول أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن من اللوح المحفوظ.

بل اعتقاد الفرقة الناجية أن جبريل عليه السلام سمعه من الله مباشرة، سمعه بصوت الله تعالى، كما يشاء جل وعلا وكما يليق بجلاله وعظمته، ونزل به إلى محمد ﷺ، وسمعه نبينا محمد ﷺ بصوت جبريل، وسمعه الصحابة بصوت نبينا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾(١) فهو من ربك وليس من اللوح ولا من غيره، فلنتنبه ولننبه طلابنا سلمهم الله من كل مكروه. فهذا القرآن الذي بين أيدينا هو: كلام الله، وصفته، مسموعا لنا من غيره(٢) من المبلغ له، أما جبريل عليه السلام فسمعه من الله مباشرة.

البدعة الثانية: هي إطلاق القول أن «القرآن قديم»، وهذه البدعة منتشرة حتى في كتب بعض أهل السنة، فأطلقها ذهولاً من غير اعتقاد لموجبها الباطل - كما يدل عليه باقي كلامهم صراحة-

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٢ .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٥٤٩).

بعض أهل السنة كالإمام: الموفق أبي محمد بن قدامة والإمام اللالكائي رحمهما الله[١]، فضلا عمن يطلقها معتقدا معناها من الجهمية، أو المتأثرين بهم من أهل الحديث والسنة، وهي أيضا بدعة خطيرة كسابقتها فإن القرآن وكذلك التوراة والإنجيل وغيرها من كلام الله المعين ليس بقديم، وإنما القديم أو الأول هو: نوع الكلام، أما آحاد الكلام فهي حادثة في وقت معين، وليس مراد السلف بلفظ حادثة: مخلوقة - حاشاهم من ذلك - ، ولكن المراد: تكلم الله بها في ذلك الوقت، حيث خاطب بها من خاطب من خلقه سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[٢] أي جديد إنزاله. و«الحادث»: لفظ مجمل يطلق على المخلوق وعلى غيره، وظابطه: أن ما كان منه قائم بالله فهو غير مخلوق، وما كان منه منفصل عن الله فهو مخلوق.

وكذلك الكلام في سائر صفات الله تعالى الفعلية يقال: نوعها قديم - يعني أول - وآحادها متجددة، أو يقال لم يزل فعالا، ولم يزل متكلما، بما يشاء كيف يشاء متىٰ شاء، كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[٣] وهو الوارد عن السلف، أما الفعل المعين،

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ٢١٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي (١/ ٢٠٤) طبعة دار البصيرة. تخريج وتعليق: نشأت المصري.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢ .

(٣) سورة البروج، الآية: ١٦ .

والكلام المعين، وكذلك المفعول المخلوق المعين، فلا يقال قديم، بل من أنواع كفر الفلاسفة المجمع عليه - لعنهم الله - : القول بأزلية السموات والأرض. فلا أول غير الله بكل صفاته، لكن الفعلية منها القديم والأول: نوعها، أما المخلوقات فلا يوجد مخلوق قديم أول لا أول له، ومن اعتقد أن هناك مخلوق أول فقد كفر - والعياذ بالله - الكفر الأكبر لأن هذا من خصائص الله تعالى كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾، فأكد هذا بمؤكدات عدة، ولاستحالته وامتناعه عقلاً.

فهناك فرق بين الحديث عن كلام الله عموما فتقول كما سبق: النوع قديم، والآحاد ومنها القرآن، وكلامه تعالى لموسى، وكلامه تعالى لآدم، وبعد ذلك وقبله، ويوم القيامة، وكلامه تعالى لأهل الجنة، فهذه حادثة في الوقت الذي تكلم بها سبحانه، وليست قديمة، لأن القوم يريدون بلفظ «القديم»: الذي لا أول له، وهو المراد بلفظ الأول: الذي ليس قبله شيء - وليس مرادهم بقولهم: القرآن قديم: أنه نزل قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولا مرادهم بذلك: أنه في اللوح المحفوظ فإن هذا حق، لكن مرادهم أنه لا أول له - وهذا يعني نفي أن يكون الله يتكلم متى يشاء.

أما إذا كان الحديث عن القرآن فيقال كلام الله ولا يقال: قديم، فإن هذا مبني على قول الكلابية والأشعرية وغيرهم، الذين يقولون إن كلام الله تعالى هو المعنى النفسي القديم، وأن الله لا يتكلم بحرف وصوت، وأن كلامه لا يتعلق بمشيئته وقدرته، وأن

هذا القرآن الذي بين أيدينا حكاية عن كلام الله أو عبارة عن كلام الله، وهذا قول بكونه مخلوقا، وهو نصف قول المعتزلة الذين جعلوا القرآن حروفه ومعانيه مخلوقة وهؤلاء الحروف دون المعاني. تعالى الله عن هذا علوا كبيرا.

ولذلك قال علماء أهل السنة ومنهم شيخ الإسلام بن تيمية: (ولا يجوز إطلاق القول(١) بأنه [أي القرآن] حكاية عن كلام الله

(١) قوله: ولا يجوز إطلاق القول، ولم يقل: ولا يجوز القول. لأن لفظ «الحكاية» لفظ مجمل، فقد يراد بها ما يماثل الشيء، كما يقال: هذا يحاكي فلانا إذا كان يأتي بمثل قوله أو عمله، وهو مقصد الكلابية، ولهذا غَيَّر الأشعري هذا بقوله: عبارة، والكل بدعة. والقول أن القرآن حكاية عن كلام الله بهذا المعنى ممتنع؛ فإن الله يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].
والمعنى الآخر من معنيي لفظ «الحكاية» هو التبليغ والنقل والأداء والقراءة والتلاوة، فيقال: فلان حكى كلام فلان: أي بلغه عنه ونقله عنه ورواه عنه وحدث به عنه، ويجيء في الحديث: أن النبي ﷺ قال فيما يحكي عن ربه، ويقال: أن النبي ﷺ روى عن ربه، وحكى عن ربه، فإذا قيل: إنه حكى عن الله بمعنى: أنه بلغ عن الله فهذا صحيح. ولكن إطلاق القول به خطأ؛ لأن اللفظ إذا أطلق كان المراد به المعنى الأول، أنه أتى بكلام مثل كلام الله، وهذا كفر، فالواجب التعبير بما لا يدل على معنا باطل. وكل هذا مجموع من كلام شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله، وإنما نبهت عليه هنا لقلة من تنبه لمقصوده رحمه الله في عبارته التي في العقيدة الواسطية، عند شرحها أو قراءتها، مع أنه يكثر الشرح لها، ولم أر من الشراح من وضح هذا التوضيح - فالحمد لله -. وأنظر مواطن كلام شيخ الإسلام هذا في مجموع فتاويه (١٢/ ٢٨٠، ٥٤٣، ٥٥٢).

أو عبارة) كما هي عبارة العقيدة الواسطية.

وهذا منهم بناءا على نفيهم الصفات الفعلية (الاختيارية)(١) التي يسمونها (حلول الحوادث) وهي البدعة الكبيرة التي كان من لوازمها تمثيل الله تعالى بالجمادات والموات، ونفي أن يكون تعالى خلق شيئا، أو فعل شيئا، وإنكار المعاد والنبوات وغير ذلك، والتفصيل في هذه المسائل طويل جدا معلوم في مواطنه من كتب أهل السنة، إلا أن المراد التنبيه على البدعة الثانية هنا وهي إطلاق القول أن القرآن قديم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء، بكلام يقوم به، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديما)(٢).

وقال رحمه الله: (وكان أئمة السنة كأحمد، وأمثاله، والبخاري، وأمثاله، وداود، وأمثاله، وابن المبارك، وأمثاله، وابن خزيمة، وعثمان بن سعيد الدارمى، وابن أبي شيبة، وغيرهم، متفقين على أن الله: يتكلم بمشيئته وقدرته، ولم يقل أحد منهم: أن القرآن قديم، وأول من شهر عنه أنه قال ذلك هو: ابن كلاب، وكان الإمام أحمد: يحذر من الكلابية، وأمر بهجر الحارث المحاسبي؛ لكونه كان منهم، وقد قيل عن الحارث: أنه رجع في القرآن عن

---

(١) انظر حولها مفصلا: كتابي «صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها» الباب السادس: الصفات الاختيارية ورد الشبهات حولها. ص٣٨٧.

(٢) منهاج السنة (٢/ ٢٨١).

قول ابن كلاب، وأنه كان يقول إن الله يتكلم بصوت)[١].

وقال أيضا: (السلف قالوا: «القرآن كلام الله منزل غير مخلوق» وقالوا: «لم يزل متكلما إذا شاء» فبينوا أن كلام الله قديم إي: جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم: «إن نفس الكلام المعين قديم» ولا قال أحد منهم: «القرآن قديم» بل قالوا: «إنه كلام الله منزل غير مخلوق» وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته: كان القرآن كلامه، وكان منزلا منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزليا قديما بقدم الله، وإن كان الله لم يزل متكلما إذا شاء، فجنس كلامه قديم، فمن فهم قول السلف وفرق بين هذه الأقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض)[٢].

وقال أيضا ناقلا عن محمد بن الهيصم الكرامي - من متكلمة أهل الإثبات - في كتابه «جمل الكلام في أصول الدين»: (والفصل الثاني: أن القرآن غير قديم، فإن الكلابية وأصحاب الأشعري، زعموا: أن الله لم يزل متكلما بالقرآن وقال أهل الجماعة: إنما تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل وكذلك سائر الكتب)[٣]. وهذا قليل من كثير حول هذه المسألة، وبسطها يحتاج

---

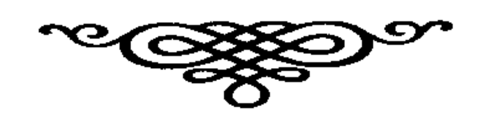
(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٥٣٢ -٥٣٣).

(٢) السابق (١٢/ ٥٤) وأنظر (١٢/ ٨٦، ٨٧). فقد ذكر مصادر أقوال السلف في هذه المسألة.

(٣) شرح الأصفهانية ص٦٠، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٨٤) ودرء التعارض (٢/ ٤٨).

لكتاب مستقل.

وإنما المراد التقديم لرسالة الشيخ العلامة الإمام محمد بن إبراهيم رحمه الله التي فيها الرد على البدعة الأولى، وذكرت هذه المسألة الثانية استطرادا لأن الشيء بالشيء يذكر، فإنها في قوتها وانتشارها، أسأل الله أن ينفعني ومن يقرأ هذا الكتاب وهذه المقدمة، وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة صوابا، وأن يحيينا على السنة المحضة، عقيدة الفرقة الناجية، وأن يجعلنا من الدعاة إليها والذابين عنها، وأن يميتنا عليها، وأن يهدي من ضل من المسلمين لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وأن يجزي الشيخ محمد بن إبراهيم خير الجزاء على ما كتب وبين وغيره من علماء الأمة - آمين - .



فصل:

الرسالة: اسمها وموضوعها، وسبب تأليفها:

هذه الرسالة رد على من قال في كيفية إنزال القرآن: «إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد»، وقد رد عليها الشيخ محمد بن إبراهيم في هذه الرسالة ردا محكما - جزاه الله خيراً -، ونقل عن العلماء نقولا قيمة، لا يمكن نقضها. وعنوانها المثبت في أصلها هو (الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم) (أو) «نقد قول السيوطي في الإتقان: أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد». ويظهر لي: أن العنوان الثاني ليس من وضع الشيخ نفسه، لأن السيوطي رحمه الله لم يذكر ذلك من قوله، وإنما نقله عن غيره، وإن كان السيوطي أيضاً عنده زلات أخرى في هذه المسألة وغيرها - يجب الحذر منها مع الاستفادة من سائر كتبه المفيدة والقيمة - ، ولكن اختياره في هذه المسألة واضح من قوله:-

(قلت: ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً: (إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً، فيكون أول من يرفع

رأسه جبريل، فينتهي به حيث أمر)(١). وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: (إذا تكلم الله بالوحي: سمع للسموات صلصلة، كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة) وأصل الحديث في الصحيح(٢)...)(٣).

وليس في قول السيوطي هذا إثبات أن الله يتكلم بحرف وصوت، كقول أهل السنة، ولا نفي أن كلام الله هو المعنى القديم، حتى يجزم أنه في هذا على مذهب السلف، بل الظاهر أن معنى كلامه هو ما نقله قبل هذا مباشرة عن البيهقي - وهو في هذا أشعري - فإنه قال: (وقال البيهقي في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾: يريد والله أعلم: إنا أسمعنا الملك، وأفهمناه إياه، وأنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلاً من علو إلى أسفل). فقال: أسمعنا، وقد يكون ذلك من غير الله على حسب

---

(١) رواه الطبراني، أنظر: مجمع الزوائد (١١٢٨٨) وقال الهيثمي: رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وقد وثق وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات أهـ. وذكره الحافظ في الفتح عند شرح الحديث الآتي.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير (٤٨٠٠): باب: (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير). ولفظه: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قال: إِذَا قضى اللهُ الأمر في السَّمَاءِ: ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قالُوا لِلَّذِي قالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الكَبِيرُ).

(٣) الإتقان: النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله، المسألة الثانية: في كيفية الإنزال والوحي. (١/ ٩٧) طبعة دار الكتب العلمية (١٤١١هـ).

عبارته الموهمة. ويدل على هذا أن السيوطي نقل بعد قول البيهقي رَحِمَهُ اللهُ هذا: قول أبي شامه: (قال أبو شامة: هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن، أو إلى شيء منه يحتاج إليه أهل السنة، المعتقدون قدم القرآن، وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى) ومراده بأهل السنة: الأشاعرة على حد زعمه، وهم عند أهل الحق ليسوا من أهل السنة المحضة الفرقة الناجية، بل هم من الفرق الضالة، وإن كانوا من أهل السنة في مقابل الرافضة والمعتزلة.

والمراد أن الظاهر أن السيوطي في هذا الباب على عقيدة الأشاعرة، - أما معتقد الفرقة الناجية في هذا الباب فهي - كما سبق-: أن القرآن كلام الله، وأن الله يتكلم بحرف وصوت يليقان بجلاله وعظمته، وليس كلامه مجرد المعنى القديم دون الحروف ولا مجرد الحروف دون المعاني كقول المعتزلة، وأن كلامه تعالى يتعلق بمشيئته وقدرته، ليس كحياته وعلمه، وأن كلامه منه بدأ لا من الشجرة ولا من غيرها من المخلوقات، وإليه يعود، وأن نوع كلامه أول وآحاده متجددة، وأنه لم يزل متكلما ولا يزال بما شاء وكيف يشاء متى شاء، وأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سمعه من الله مباشرة بصوته تعالى ونزل به إلى محمد ﷺ - .

ولكن المراد هنا أن القول: أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ ونزل به، وهي المسألة التي يريد الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ الرد عليها، ليست من كلام السيوطي، ولكن خطؤه أنه حكاها عن غيره ولم ينكرها، وإن كان هو قد اختار قولا هو

بدعة أخرى أيضا، وسماحة الشيخ بن إبراهيم رحمه الله كان دقيقا فإنه لم ينسب المقالة إلى السيوطي بل الذي ذكره - كما سيأتي بإذن الله - أن هذا وقع في الإتقان حاكيا السيوطي له في جملة أقوال من غير رد ولا نكير، مما يرجح أن العنوان الثاني للرسالة ليس من وضعه، بل فيه وهم من واضعه رحمه الله والله أعلم.

وأما الحافظ السيوطي رحمه الله فقد أنصفه الشيخ عندما قال عنه في أول هذه الرسالة: (والسيوطي رحمه الله مع طول باعه، وسعة اطلاعه، وكثرة مؤلفاته، ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة).

وأما سبب تأليفه الرسالة فواضح من قوله في أولها: (أما بعد: فقد سألني من تعينت إجابته عن ما وقع في «كتاب الإتقان للسيوطي»..) وسيأتي في أول الرسالة - بإذن الله - مما يبين أن سبب التأليف هو إجابة من سأله ممن تعينت عليه إجابته.

وأما الأقوال التي حكاها السيوطي في كتابه ولم يردها أو ينكرها فهي في قوله في الإتقان[1]: في النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله: (المسألة الثانية: في كيفية الإنزال والوحي: ... وقال الطيبي: لعل نزول القرآن على النبي ﷺ أن يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفاً روحانياً، أو يحفظه من اللوح المحفوظ، فينزل به

(١) وهو كتاب نفيس بل فريد في بابه وقيم، لا يستغني عنه طالب العلم في علوم القرآن.

إلى الرسول، فيلقيه عليه. وقال القطب الرازي في حواشي الكشاف: . . . والمراد بإنزال الكتب على الرسل: أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً، أو يحفظها من اللوح المحفوظ، وينزل بها فيلقيها عليهم اهـ. وقال غيره: في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال. أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ، ونزل به)[١]. فهذه هي الأقوال المنكرة التي نقلها السيوطي ولم يردها أو ينكرها، بل لم ير فيها كبير خطأ، وفي بقية كلامه ونقوله أخطاء أخرى.

ونحن الآن بأمس الحاجة إلى رسالة الشيخ - ابن إبراهيم هذه - وإلى نشرها - لما قدمت - ، ولمكانة مؤلفها، وليتبين فهمه الدقيق لكلام السلف، وهي إحدى الدرر التي احتوى عليها مجموع فتاويه ورسائله رحمه الله والتي جمعها ورتبها وحققها العلامة الشيخ: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله ، والذي له ولأبيه من الفضل على كل مسلم في هذه الأيام ما هو معلوم لكل منصف، وذلك بما فعلاه من جمع فتاوى الشيخين شيخ الإسلام بن تيمية والشيخ ابن إبراهيم رحمهما الله، فرفعهما الله في عليين.



(١) انظر: الإتقان في النوع السابق والمسألة (١/ ٩٦).

فصل:

ترجمة موجزة للشيخ

والشيخ محمد بن إبراهيم هو: مفتي الديار السعودية قبل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله، وهو أكبر شيوخه وعليه تخرج، وكان الشيخ محمد كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا: عالما جليلا، فقيها - وكان حنبلي المذهب - غير متعصب، بل يولي ركائبه مع الدليل حيث يوجهه، عاملا بعلمه، سلفيا، ناسكا، محببا إلى الخلق، معظما لحرمات الله، مظهرا للحق صادعا به، سائرا في هذا على منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسلف هذه الأمة المباركة، قويا في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم، انكسر بموته باب من الأبواب التي تكون في وجه الباطل، قال فيه الشيخ بن باز ﷺ: لا أعلم في زمنه أعلم منه، وكان إذا ذكره بكى ويقول: كان مجاهدا، رحمهما الله وخلف على الأمة بخير منهما.

مع أن الشيخ بن باز ﷺ جالس في زمنه علماء كبار، كصاحب أضواء البيان: الشيخ العلامة الإمام محمد الأمين الشنقيطي، وغيره رحمهم الله جميعا، وقال هذا الشيخ بن باز، وهو من هو في علمه ودينه وورعه، فحسبك بهذا.

ولا تستغرب من هذا فهو سليل للعلم الشرعي السلفي فهو: الشيخ محمد، بن الشيخ إبراهيم، بن الشيخ عبد اللطيف، ابن الشيخ عبدالرحمن - المجدد الثاني صاحب فتح المجيد - ، ابن الشيخ حسن، ابن - إمام الدعوة مجدد الدين محيي السنة ومميت البدعة - الشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي، من بني تميم، وفضلهم معلوم، مات سنة ١٣٨٩هـ، وكان مولده سنة ١٣١١هـ.

ومجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، ما أعطيت حقها من العناية والدراسة بعد أن جمعت، مع أنها تستحق أن يقال عنها ونحوها: من أحسن الكتب في علاج هذا الواقع المعاصر.

وكان رحمه الله قدوة في علاج الأخطاء المعاصرة، وسطا بين الإفراط والتفريط، بين تمييع الأخطاء، والسكوت عن الحق رغبة أو رهبة من غير الله، وبين الخروج على السلطان، أو إهانته، وترك الدعاء له، ومناصحته وترك منهج السلف في هذا الباب، فهو جدير أن يبين منهجه لشباب الصحوة اليوم، ولأهل العلم المعاصرين، لأن الإعتدال يقبله الجميع إلا من في قلبه زيغ.

فصل:

طريقتي في التحقيق

في رسالة الشيخ رَحِمَهُ الله هذه نقول طويلة عن شيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم رحمهما الله، ونقل عن ابن أبي العز الحنفي فأما نقله عن شيخ الإسلام فهو من رسالة موجودة ضمن مجموع الفتاوى ١٢/١١٧-١٣٥) وقد وجدت فروقاً كبيرة وسقطاً كثيراً وذكرت هناك كما سيأتي - إن شاء الله - بعض الأسباب المحتملة لذلك. والعذر للشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ الله في عدم المقابلة والتحقيق مع أنه ممن شارك في تحقيق الأصل، كثرة أشغاله والله أعلم. وقد أثبتُّ الفروق وسددت النقص من الأصل بحمد الله.

وأما النقل عن ابن القيم فقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ الله أنه من الصواعق المرسلة وذكر الصفحة والمجلد ويقصد (مختصر الصواعق) لأن الأصل مفقود إلى الآن وهو الذي فيه هذا الموطن، ولا أعلم النسخة التي نقل منها الشيخ لكن ذكر أنه نقل من المجلد الثاني. ولكن ولله الحمد فقد حقق الأصل وهو «مختصر الصواعق المرسلة» لمحمد بن الموصلي (ت ٧٧٤) تحقيقاً جديداً وخرج إلى الأسواق في أربعة مجلدات، والمحقق هو د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي. نال بتحقيقه رسالة الدكتوراه وليس الماجستير كما هو ظاهر، وإلا فالمحقق لم أقف على كلام له حول هذا،

ولكن ذكر لقب الدكتور، والكتاب كبير فهو من نصيب رسائل الدكتوراه - والله أعلم. ولم يذكر الدرجة التي نالها ولا المناقشين ولكن ذكر أنه أشرف عليه شخصان الأول هو: د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد. وذكر أنه تنازل على الإشراف لأسباب علمية وإدارية.

ولكنه نال الدرجة من الجامعة الإسلامية، وحقق الكتاب على خمس نسخ، فتكون أفضل النسخ ولله الحمد، والله أسأل أن يجزي المحقق خيراً. والكتاب طبع دار (أضواء السلف) الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

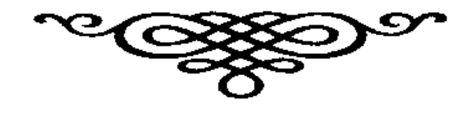
والنص الذي نقله الشيخ ابن إبراهيم في المجلد الرابع من ص: ١٣١٤ إلى ص: ١٣٢٥، فإذا قلت في الأصل فهو هذا. ونقل أيضاً الشيخ ابن إبراهيم من القصيدة النونية لابن القيم أبياتاً كثيرة. وقد قابلت بينها وبين النسخة المثبتة في شرح الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - المسمى (التعليق المختصر على القصيدة النونية)، وهو مفرغ من أشرطة وراجعه الشيخ وأصله ثم طبع. كما قابلت أيضاً على النسخة التي في شرح الشيخ محمد خليل الهراس رَحِمَهُ اللهُ. وجعلت الأولى هي الأصل لكونها حديثه الطبع والأصل أن تعتمد على أفضل النسخ. فقد طبعت الأولى عام ١٤٢٤هـ، وأما نسخة الشيخ الهراس رَحِمَهُ اللهُ فاعتمدت طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان. وأما ما نقل عن شارح الطحاوية فقد اعتمدت النسخة التي حققها الشيخ أحمد شاكر وأذكر هناك - إن شاء الله تفاصيلها.

وقد فرقت بين تعليقاتي، وإثباتي الفروق بين النسخ، وبين تعليقات الشيخ محمد بن قاسم رحمه الله بهذا الحرف (م) فإذا وجدته بعد التعليق في الحاشية فهو يعني أن هذه الحاشية من وضعي. وهذا الحرف يعني المحقق والمقدم. والله الموفق.

ونسأله تعالى أن يتقبل من الجميع وأن ينفع بهذا الكتاب إنه لطيف ودود كريم.

والآن إلى الكتاب المحقَّق وهو في مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم في المجلد الأول من ص: ٢١٤ إلى ص: ٢٣٩.

المحقق والمقدم:
١٤٢٥/٩/٧هـ
مكة المكرمة



فصل:

النص المحقق

قال الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف - قدس الله روحه -

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه استعين

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على كل دين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله وخيرته من بريته أجمعين، اللهم صلى على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد: فقد سالني من تعينت اجابته عن ما وقع في «كتاب الإتقان للسيوطي» في بحث كيفية إنزال القرآن الكريم حاكياً له في جملة أقوال من غير رد له ولا انكار من أن جبريل عليه السلام أخذه من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد ﷺ: هل هذا من أقوال أهل السنة والجماعة، ومما ثبت عن سلف هذه الأمة وأئمتها، أو هو من أقوال أهل البدع، وما حقيقة ذلك، وأي شي

ترجع إليه هذه المقالة. فأقول ومن الله أَستمد الصواب، وهو حسبي ونعم الوكيل:

هذه «المقالة» اغتر بها كثير من الجهلة وراجت عليهم. والسيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ مع طول باعه وسعة اطلاعه وكثرة مؤلفاته ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة. وهذه «المقالة» مبنية على أصل فاسد، وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم. وهذه المقالة الخاطئة حقيقتها إنكار أن يكون الله متكلماً حقيقة، ويلزم هذه المقالة من الكفر والإلحاد والزندقة وإنكار الرسالة ووصف الله تعالى بالخرس وتشبيهه بآلهة المشركين الأصنام التي لا تنطق وغير ذلك من المحاذير الكفرية ما يعرفه أَهل العلم فإن الذي عليه أَهل السنة والجماعة قاطبة ان الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاءَ وكيف شاءَ، وان جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى، وبلغه إلى محمد ﷺ.

والقائلون بخلق القرآن منهم من يقول: خلقه في اللوح المحفوظ، وأَخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح المحفوظ، وجاء به إلى محمد ﷺ. ومنهم من يقول: خلقه في جبريل. ومنهم من يقول: خلقه في محمد، إلى غير ذلك من أقوالهم.

والأدلة لأَهل السنة والجماعة على هذا الأصل من الكتاب والسنة والمعقول كثيرة جدا، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾(٢).

وقَالَ تعالى: ﴿حم ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢﴾(٣).

وقَالَ تعالى: ﴿الم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾(٥). و(من) في هذه الآيات كلها لابتداء الغاية. وإذا ضم ذلك إلى الآيات الدالة على أن الله متكلم حقيقة كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٦) ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾(٧) ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾(٨) يعنى القرآن ونحو ذلك من الآيات المثبتة. نسبة القرآن وغيره من كلام الله إلى الله نسبة قول وكلام له تعالى اتضح بذلك ابتداءُ القرآن من رب العالمين قولا،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.
(٢) سورة غافر، الآية: ١-٣ .
(٣) سورة فصلت ١-٢.
(٤) سورة السجدة ١-٢.
(٥) سورة النحل ١٠٢.
(٦) سورة النساء ١٦٣.
(٧) سورة البقرة ٢٥٣.
(٨) سورة التوبة ٨.

ولم يبق أي لبس في أن القرآن سمعه جبريل من رب العالمين، كما سمع موسى عليه السلام الكلام من الله تعالى حقيقة.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يامرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار**».

وأنا أسوق بعض ما وقفت عليه من كلام المحققين في هذه المسألة المشتمل على كثير من النصوص مع تقريرهم دلالتها أحسن تقرير، مما تقر به عيون الموحدين، وينقمع به الجهلة من المبتدعة والملحدين، ويكون أصلا في هذا الباب للمسترشدين مكتفياً بذلك عن سرد الأدلة. والله المستعان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته «كتاب مذهب السلف القويم، في تحقيق مسالة كلام الله الكريم»(١)(٢) ما نصه: «فصل» في بيان أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم؟ ليس شيء منه كلاماً لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ

(١) وهذه الرسالة أعيد طبعها في مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٢ ص١١٧ - ١٦٢. قلت: لم ينقلها كاملة بل إلى ص ١٣٥، وهو ما يتعلق بهذه المسألة قد قابلت بينها هنا وبين الأصل في مجموع الفتاوى المشار إليه فوجدت أخطاء وسقط كثير جداً، فلعله بعد إعادة طبع الفتاوى لشيخ الإسلام استدرك على الرسالة، ولم يقابل الشيخ ابن قاسم مع ما هنا لضيق وقته أو لأمر آخر - كما سبق -.

(٢) في الأصل وهو مجموع فتاوى ابن تيمية لا يوجد هذا العنوان (م).

لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ
ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ
عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[١] فأمره أن يقول: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ والضمير[٢] في قوله: (نَزَّلَهُ)[٣] عائد على «مَا» في قوله (بِمَا يُنَزِّل) فالمراد[٤] به القرآن كما يدل عليه سياق الكلام. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فيه إخبار[٥] بأنه أنزله، لكن ليس في هذه اللفظة بيان أن روح القدس نزل به ولا أنه منزل منه. ولفظ الإنزال في القرآن قد يرد مقيداً بالإنزال منه كنزول القرآن. وقد يرد مقيدا بالإنزال من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك. وقد يرد مطلقاً فلا يختص بنوع من الإنزال، بل ربما يتناول الإنزال من رؤوس الجبال كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[٦] والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك. فقوله:

(١) سورة النحل ٩٨ -١٠٣.
(٢) في الأصل: فإن الضمير (م).
(٣) في الأصل: (قل نزله) (م).
(٤) في الأصل: والمراد (م).
(٥) في الأصل: فيه إخبار الله بأنه (م).
(٦) سورة الحديد ٢٥.

﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾(١) بيانا لنزول جبريل به من الله عز وجل(٢)، فان روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٣) وهو الروح الأمين كما في قوله تعالى(٤): ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(٥) وفي قوله (الأَمِينُ) دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به لايزيد فيه ولا ينقص، فإن الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال تعالى في صفته في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾(٦).

في قوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ دلالة على أمور: منها بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول «الجهمية» الذين يقولون بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم، فإن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة جهميا.

فإن جهماً أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات

---

(١) في الأصل: بالحق (م).
(٢) في الأصل: وهو فتاوى ابن تيمية:- بدون عز وجل (١١٨/١٢) (م).
(٣) سورة البقرة ٩٧.
(٤) في الأصل: بدون تعالى (م).
(٥) سورة الشعراء ١٩٢- ١٩٥.
(٦) سورة التكوير ١٩ -٢١.

وبالغ في نفي ذلك، فله في هذه البدعة مزيد[١] المبالغة في النفي والابتداء لكثرة[٢] إظهار ذلك والدعوة إليه، وإن كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك، فإن الجعد[٣] أول من أحدث ذلك في الإسلام فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم النحر، وقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، أنه زعم بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد[٢] علوا كبيرا، ثم نزل فذبحه.

ولكن المعتزلة وإن وافقوا جهما في بعض ذلك فهم يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل الإيمان والقدر[٤] وبعض مسائل الصفات أيضاً ولا يبالغون في النفي مبالغته، وجهم يقول إن الله[٥] لا يتكلم أو يقول أنه متكلم[٦] بطريق المجاز، وأما المعتزلة فيقولون أنه تكلم[٧] حقيقة، لكن قولهم في المعنى هو قول جهم، وجهم ينفي الأسماء أيضاً كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة، وأما جمهور المعتزلة فلا تنفي[٨] الأسماء.

---

(١) في الأصل: مزية (م).
(٢) في الأصل: بكثرة (م).
(٣)(٢) في الأصل: ابن درهم (م).
(٤) في الأصل: القدر والإيمان (م).
(٥) في الأصل: تعالى (م).
(٦) في الأصل: يتكلم (م).
(٧) في الأصل: يتكلم (م).
(٨) في الأصل: فلا ينفون (م).

فالمقصود[١] أن قوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات، ولهذا قال السلف: منه بدأ. أي هو الذي تكلم به لم يبتدأ من غيره كما قالت الخلقية.

ومنها أن قوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي[٢] من العقل الفعال أو غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة، وهذا القول أعظم كفراً وضلالا من الذي قبله.

ومنها أن هذه الآية أيضا تبطل قول من قال أن القرآن[٣] ليس منزل[٤] من الله بل مخلوق إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما، كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون: القرآن[٥] العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي، أو ألهمه محمدا فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون جبريل أخذه[٦] من اللوح المحفوظ أو غيره. فهذه

---

(١) في الأصل: والمقصود (م).
(٢) في الأصل: صلى الله عليه وسلم (م).
(٣) في الأصل: قول من يقول إن القرآن العربي ليس (م).
(٤) في الأصل: منزلاً. وهو الصواب (م).
(٥) في الأصل: أن القرآن (م).
(٦) في الأصل: أو يكون أخذه جبريل (م).

الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول؛ فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أَوَّلاً قبل أَن يصل إلينا.

وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن العربي، وكذلك التوراة العبرية، ويفارقه من وجهين.

«**أَحدهما**»: أن أُولئك يقولون أن المخلوق كلام الله، وهؤلاء يقولون أنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازا، وهذا قول أَئمتهم وجمهورهم وقالت طائفة من متاخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي، لكن لفظ هذا الكلام ينقض أَصلهم(١) في إبطال قيام الكلام بغير المتكلم به ومع(٢) هذا لا يقولون أن المخلوق كلام الله حقيقة كما يقوله(٣) المعتزلة مع قولهم أنه كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن العربي كلاماً لغير الله وهو كلام حقيقة، وهذا شر من قول المعتزلة، وهذا حقيقة قول الجهمية. ومن هذا الوجه فقول المعتزلة أَقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة، لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء وإنما ينازعونهم في اللفظ.

«**الثاني**»: أن هؤلاء يقولون لله كلام هو معنى قديم قائم بذاته،

---

(١) في الأصل: لكن هذا ينقض أصلهم (م).
(٢) في الأصل: وهم مع هذا (م).
(٣) في الأصل: تقوله (م).

والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام. ومن هذا الوجه الكلابية[(١)] خير من الخلقية[(٢)] في الظاهر، ولكن جمهور الناس يقولون أن أَصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا كلاما له[(٣)] حقيقة غير المخلوق، فإنهم يقولون أنه معنى واحد هو الأَمر والنهي والخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا ومنهم من قال هو خمس معان، وجمهور العقلاء [الكثيرون][(٤)] يقولون أن فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام، والعقلاءُ الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجحد الضرورات من غير تواطئ[(٥)] واتفاق كما في الأَخبار المتواترة، وأما مع التواطئ[(٦)] فقد يتفقون على الكذب عمدا، وقد يتفقون على جحد الضرورات وإن لم يعلم كل منهم أنه جاحد للضرورة ولم يفهم[(٧)] حقيقة القول الذي يعتقده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله ولمحبته لنصر ذلك القول، كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها

---

(١) هكذا في فتاوى الشيخ ابن إبراهيم. وفي مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/ ١٢١) فالكلابية بالفاء ولعله خطأ مطبعي (م).
(٢) أي المعتزلة القائلين بخلق القرآن (م).
(٣) في الأصل: (١٢/ ١٢١):- له كلاماً. (م)
(٤) في الأصل: الكثيرون. (م)
(٥) في الأصل: تواطؤ. (م)
(٦) في ا لأصل: التواطؤ. (م)
(٧) في الأصل: ولو لم يفهم. ولعله سقط من الناسخ. (م)

بالضرورة.

وقال جمهور العقلاء: نحن إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معاني هذا ليست معاني هذا[١]، وكذلك معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢] ليس هو معنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[٣]، ولا معنى «آية الكرسي» معنى «آية الدّين» وقالوا: إذا جوزتم أَن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا أَن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة، فاعترف أَئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي. ثم منهم من قال: الناس في الصفات إما مثبت لها قائل[٤] بالتعدد، وإما ناف لها، وأَما إثباتها واتحادها فخلاف الإجماع، وهذه طريقة القاضي أَبي بكر وأبي المعالي وغيرهما ومنهم من اعترف بأنه ليس له عنه جواب كأبي الحسن الآمدي وغيره.

والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول، كما تبين بطلان غيره؛ فإن قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[٥] يقتضي نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه، بدليل

---

(١) في الأصل (١٢/ ١٢٢): إضافة:- ومعاني هذا ليست معاني هذا (م).
(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١ .
(٣) سورة المسد، الآية: ١ .
(٤) في الأصل: وقائل. بالواو. ولعله سقط من الناسخ. (م).
(٥) في الأصل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (١٢/ ١٢٣) (م).

قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وإنما يقرأُ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة. وأيضاً فضمير المفعول في قوله (نَزَّلَه) عائد إلى[١] «مَا» في قوله ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ فالذي أنزله الله هو الذي نزل به روح القدس. فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أَن يكون نزله من الله فلا يكون شيء منه نزله من غيره[٢] من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه. وأيضاً فإنه قال عقب[٣] هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ الآية[٤] وهم كانوا يقولون إنما يعلمه هذا القرآن العربي بشر، لم يكونوا يقولون إنما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ فإنه تعالى أَبطل قول الكفار بأن لسان الذي الحدوا إليه - فجعلوه هو الذي يعلم محمدا القرآن[٥] - لسان أَعجمي والقرآن

---

(١) في الأصل: على (م).

(٢) في الأصل: من عين، ولعل الصواب ما أثبته الشيخ ابن إبراهيم هنا رحمه الله ويكون تحريفاً في الأصل (م).

(٣) في الأصل: عقيب (١٢/ ١٢٣) (م).

(٤) في الأصل: وهو مجموع فتاوى ابن تيمية إكمال الآية بـ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ (م).

(٥) في الأصل: بعد الحاصرة الأولى هنا: بأن أضافوا إليه هذا القرآن فجعلوه هو الذي يعلم محمداً. وهو في الأصل بين فاصلتين لا حاصرتين (١٢/ ١٢٤) (م).

لسان عربي مبين[١] فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم فإن الإنسان قد يتعلم من الأعجمي شيئا بلغة ذلك الأعجمي ويعبر عنه هو بعباراته. وقد اشتهر في التفسير أن بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلمه من شخص كان بمكة أعجمي قيل أنه كان مولى لابن الحضرمي. وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله أبطل ذلك بأن لسان ذاك[٢] أعجمي وهذا لسان عربي مبين علم أن روح القدس نزل باللسان العربي المبين وأن محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه منه[٣] ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله أن القرآن العربي[٤] هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله.

---

(١) هنا سقط قرابة ثلاثة أسطر، وهو في الأصل: عربي مبين و«عبر عن هذا المعنى بلفظ (يلحدون) لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم إلى هذا الذي أضافوا إليه هذا القرآن فإن لفظ الإلحاد يقتضي ميلاً عن شيء إلى شيء بباطل» فلو . . . (م).

(٢) في الأصل: ذلك (م).

(٣) هكذا هو أيضاً في مجموع فتاوى الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله وفيه سقط قرابة سطر. فهي في الأصل: لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه «من روح القدس وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم أنه سمعه منه» ولم يؤلفه هو . . . (١٢/ ١٢٤) (م).

(٤) في الأصل بدل العربي: الذي (م).

[1]وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا﴾ الآية[2][3] والكتاب اسم للكلام[4] العربي بالضرورة والاتفاق فإن الكلابية أو بعضهم يفرق بين كلام الله وكتاب الله، فيقول كلام الله[5] هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق، وكتابه هو المنظوم المؤلف العربي وهو المخلوق[6]. والقرآن يراد به تارة هذا وتارة هذا[7]، والله تعالى قد سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتاباً وكلاما فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[8][9] وقال ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ

(١) في الأصل: سقط قرابة سطرين قبل وكذلك. والسقط هو من بعد قوله هنا: روح القدس من الله، «ونزل به منه. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾»، وكذلك قوله .... (١٢/ ١٢٤) وقد يكون بعض هذا السقط مقصود من الشيخ؟ وهل يقال إن الشيخ كان يملي من حفظه؟ الله أعلم. وقد يكون من الناسخ أو من يملي على الشيخ، فإن الشيخ كفيف البصر رحمه الله. (م).

(٢) سورة الأنعام ١١٤.

(٣) في الأصل إكمال الآية: ﴿...وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (م).

(٤) في الأصل: للقرآن العربي (م).

(٥) في الأصل: كلامه هو (م).

(٦) في الأصل: وهو مخلوق (م).

(٧) في الأصل: هذا تارة وهذا تارة (م).

(٨) سورة النمل ٢

(٩) في الأصل: ذكر هنا آية الحجر: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ والشيخ ابن إبراهيم ذكر هنا آية النمل. وهذا يشير أن الشيخ رحمه الله كان يملي من حفظه، والله أعلم (م).

﴿ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾(١)(٢) وقال ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية(٣)(٤) فبين أن الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ الآية(٥)(٦) وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ الآية(٧)(٨) وقال: ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾(٩)(١٠) وقال: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ الآية(١١)(١٢) وقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ الآية(١٣)(١٤) لكن(١٥) لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام، وقد يراد به ما يكتب فيه، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ

---

(١) سورة الشعراء: ١-٢ .

(٢) في الأصل: ذكر هنا آيتي النمل: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾، والشيخ ابن إبراهيم رحمه الله ذكر آيتي الشعراء. وهذا يرجح كما سبق والله أعلم أن الشيخ يملي من حفظه، وليس هذا بغريب منه (م).

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٩.

(٤) في الأصل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (م).

(٥) سورة البروج ٢١.

(٦) في الأصل: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾

(٧) سورة الواقعة، الآية: ٧٧.

(٨) في الأصل: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ (م).

(٩) سورة البينة، الآية: ٢.

(١٠) في الأصل: إكمال ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ (م).

(١١) سورة الطور: ١-٢ .

(١٢) في الأصل: إضافة ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ (م).

(١٣) سورة الأنعام ٧.

(١٤) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (١٢/ ١٢٥) (م).

(١٥) في الأصل: ولكن (م).

﴿٧٧﴾ الآية[١] وقال: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[٢].

والمقصود هنا أن قول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ يتناول نزول القرآن العربي على كل قول، وقد أخبر أن الذين آتاهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق[٣] إخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم، وقال إنهم يعلمون ذلك، لم يقل[٤] أنهم يظنونه أو يقولونه. والعلم لا يكون إلا حقاً مطابقاً للمعلوم بخلاف القول والظن الذي ينقسم إلى حق وباطل، فعلم أن القرآن العربي منزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا محمد[٥] ولا غيرهما. وإذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه.

وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس، وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ أنه أنزله إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم أنزله بعد ذلك منجماً مفرقاً بحسب

(١) في الأصل: كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ (م).

(٢) سورة الإسراء، ١٣ .

(٣) في الأصل: وقد أخبر: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ (١٢/١٢٦) وفي الأصل خطأ في الآية (م).

(٤) في الأصل: ولم يقل (م).

(٥) في الأصل: ولا من محمد (م).

الحوادث ولا ينافي أنه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١﴾ الآية[١] وقال[٢]: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ الآية[٣] وقال[٤]: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ الآية[٥] وقال[٦]: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية[٧][٨]. وكونه[٩] مكتوباً في اللوح المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل وغير ذلك[١٠]، وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان[١١] وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قدر[١٢]

---

(١) في الأصل: إضافة ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾

(٢) في الأصل: وقال تعالى (م).

(٣) في الأصل: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ (م).

(٤) في الأصل: وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ (م).

(٥) سورة عبس ١١.

(٦) في الأصل: وقال تعالى (م).

(٧) الزخرف ٤.

(٨) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ (م).

(٩) في الأصل: فإن كونه (م).

(١٠) في الأصل: أو بعد ذلك (م).

(١١) في الأصل: زيادة: وما يكون (م).

(١٢) في الأصل: قد قدر (م).

مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك بالكتاب[١] والسنة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعدما يعملونها، فيقابل بين الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنها[٢] فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف، وهو حق. فإذا كان ما يخلقه بائناً عنه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به.

ومن قال: أن جبريل أخذ القرآن عن[٣] الكتاب لم يسمعه من الله. كان هذا باطلا من وجوه:

منها أن يقال: إن الله تعالى[٤] كتب[٥] التوراة لموسى بيده فبنوا إسرائيل أخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه[٦] فيه فإن كان محمد أخذه من[٧] جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو إسرائيل أعلا من محمد بدرجة ومن[٨] قال إنه القى إلى جبريل

(١) في الأصل: في صريح الكتاب والسنة . . .، وهذا مما يبين أيضاً أن الشيخ رحمه الله يملي من حفظه وفي مواطن كثيرة أيضاً لم أنبه عليها (م).
(٢) في الأصل: عنه (م).
(٣) في الأصل: من (١٢/ ١٢٧) (م).
(٤) في الأصل: سبحانه وتعالى (م).
(٥) في الأصل: قد كتب (م).
(٦) في الأصل: وتعالى (م).
(٧) في الأصل: عن وليس من (م).
(٨) في الأصل: وكذلك من قال إنه ألقى (١٢/ ١٢٨) (م).

معاني[١] وأن جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقوله يستلزم أن يكون جبريل أُلهمه إلهاما، وهذا الإلهام يكون لآحاد المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾[٢] وقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[٣] وقد أوحى إلى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي يكون لآحاد الأَنبياء والمؤمنين أعلا من أخذ محمد القرآن عن جبريل؛ لأَن جبريل الذي علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من هؤلاء؛ ولهذا زعم ابن عربي أَن خاتم الأَولياء أَفضل من خاتم الأنبياء. قال[٤]: لأَنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول. فجعل أَخذه وأخذ الملك الذي جاء إلى الرسول من معدن واحد وادعى أَن أَخذه عن الله أَعلا من أَخذ الرسول للقرآن، ومعلوم أَن هذا من أَعظم الكفر وأن هذا القول من جنسه.

وأيضاً فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾[٥] الآية[٦] فضل[٧] موسى بالتكليم على غيره ممن أوحى

---

(١) في الأصل: المعاني (م).

(٢) سورة المائدة ١١١.

(٣) سورة القصص ٧.

(٤) في الأصل: وقال. (م).

(٥) سورة النساء ١٦٣.

(٦) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾. (م).

(٧) في الأصل: ففضل. (م).

إليهم. وهذا يدل على أُمور: على أَن الله يكلم عبده تكليما زائداً على[١] الوحي الذي هو قسيم التكليم الخاص؛ فإن لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى عام وخاص، والتكليم العام[٢] هو المقسوم في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾[٣] الآية[٤] والتكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس قسماً منه، وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاماً فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾[٥] وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما في سورة الشورى، وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فإنه حينئذ لا فرق بين التكليم الذي خص به موسى والوحي العام الذي هو[٦] لآحاد العباد. ومثل هذا قوله في الآية الأخرى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[٧][٨] فدل على أن التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الايحاء.

---

(١) في الأصل: عن الوحي. (م).
(٢) في الأصل: فالتكليم هو المقسوم . . . (١٢/١٢٩). (م).
(٣) سورة الشورى ٥١.
(٤) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾. (م).
(٥) سورة طه ١٣.
(٦) في الأصل: الذي يكون لآحاد العباد. (م).
(٧) سورة الشورى ٥١.
(٨) هنا سقط سطر من الأصل وهو من بعد الآية: «فإنه فرق بين الإيحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين إرسال رسول يوحى بإذنه مايشاء» فدل . . . . (م).

وأيضاً فقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزُّمَر: ١] وقوله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ١-٢] وقوله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فُصّلَت: ١-٢] وأمثال ذلك يدل على أنه منزل من الله لا من غيره. وكذلك قوله تعالى[١]: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢] فإنه يدل على أنه مبلغ ما أنزل إليه من ربه وانه مامور بتبليغ ذلك[٣].

وأيضاً فهم يقولون: أنه معنى واحد. فإن كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله، وإن كان قد سمع البعض فقد استمع بعضه فقد تبعض[٤] وكلاهما ينقض قولهم، فإنهم يقولون أنه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض، فإن كان ما سمعه[٥] موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله، وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره، فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله وأنزل عليه[٦] شيئاً من كلامه عالماً بجميع اخبار الله وأوامره، وهذا معلوم الفساد بالضرورة وإن كان الواحد من هؤلاء إنما سمع[٧] بعضه فقد تبعض كلامه وذلك

---

(١) في الأصل: بدون تعالى. (م).

(٢) سورة المائدة ٦٧.

(٣) في الأصل: فإنه يدل على إثبات أن ما أنزل إليه من ربه، وأنه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك. (م).

(٤) في الأصل: وإن سمع بعضه فقد تبعض (١٢/ ١٣٠). (م).

(٥) في الأصل: يسمعه، والصواب ما هنا. (م).

(٦) في الأصل: أو أنزل عليه. (م).

(٧) في الأصل: يسمع (م).

يناقض قولهم.

وأيضاً قوله[١]: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾[٢][٣] وقوله: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾[٤][٥] وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ﴾ الآيات[٦][٧] دليل على تكليم موسى[٨]، والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة، ومن قال أنه يسمع فهو مكابر. ودليل على أنه ناداه والنداءُ لا يكون إلا صوتاً مسموعاً، لا[٩] يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازا، وقد[١٠] قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ إلى قوله[١١]: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١٢].

---

(١) في الأصل: فقوله (م).
(٢) سورة الاعراف ١٤٣.
(٣) في الأصل: زيادة (وكلمه ربه). (م).
(٤) سورة مريم ٥٢.
(٥) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢﴾. (م).
(٦) سورة القصص ٣٠.
(٧) في الأصل إكمال الآية: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ الآيات. (م).
(٨) في الأصل: سمعه موسى (م).
(٩) في الأصل: ولا يعقل. (م).
(١٠) في الأصل: وأيضاً فقد قال تعالى. (م).
(١١) في الأصل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨﴾ (١٢/ ١٣٠). (م).
(١٢) سورة النمل: ٨ .

وأيضاً فقوله[١]: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[٢] وفي هذا دليل على أنه حينئذ نودي ولم يناد قبل ذلك، ولما فيها من معنى الظرف كما في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[٣][٤] ومثل هذا قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٥] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[٦][٧] فإنه وقت النداء بظرف محدود، فدل على أن النداء يقع في ذلك الحين دون غيره[٨]، وجعل الظرف للنداء لا يسمع النداءُ إلا فيه ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٩] وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾[١٠] وأمثال ذلك مما فيه توقيت بعض أقوال الرب بوقت معين.

---

(١) في الأصل: وقوله ثم ذكر أيات لم يذكرها هنا وهي: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾، وقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾﴾، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا... ﴿١١﴾﴾. (م).

(٢) سورة طه ١١.

(٣) سورة الجن ١٩.

(٤) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾. (م).

(٥) سورة القصص ٦٢.

(٦) سورة القصص ٦٥.

(٧) في الأصل: قدم آية القصص (٦٥) الأخيرة هنا على التي قبلها. (م).

(٨) في الأصل: دون غيره من الظروف (م).

(٩) سورة البقرة ٣٠.

(١٠) سورة البقرة ٣٤.

فان الكلابية ومن وافقهم من أَصحاب الأئمة الأَربعة يقولون: أنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، بل الكلام المعين لازم لذاته كلزوم الحياة لذاته. ومن[١] هؤلاء من قال: أنه معنى واحد لأَن الحروف والأصوات متعاقبة يمتنع أَن تكون قديمة. ومنهم من قال: بل الحروف والأصوات قديمة الأعيان وأنها مترتبة في مقارنة وجودها[٢] لم تزل ولا تزال قائمة بذاته[٣]: ومنهم من قال: بل الحروف قديمة الأَعيان بخلاف الأصوات. وكل هؤلاءِ يقولون: إن التكليم والنداءَ ليس إلا مجرد خلق إدراك في المخلوق[٤] بحيث يسمع مالم يزل ولا يزال، لا أنه يكون هناك كلام يتكلم الله به بمشيئته وقدرته ولا تكليم، بل تكليمه عندهم جعل العبد سامعاً لما كان موجودا قبل سمعه، بمنزلة ما يجعل[٥] الأعمى بصيرا لما كان موجودا قبل رؤيته من غير إحداث شي منفصل عنه[٦]، فعندهم لما جاء موسى لميقات ربه سمع النداء القديم لا أَنه حينئذ نودي، ولهذا يقولون: أَنه يُسْمِعُ كلامَه لخلقه بدل قول الناس يُكَلِّمُ[٧] خلقه. وهؤلاءِ يردون على الخلقية الذين يقولون أن القرآن

(١) في الأصل: ثم من هؤلاء (١٢/ ١٣١). (م).

(٢) في الأصل: وأنها مترتبة في ذاتها متقاربة في وجودها (م).

(٣) في الأصل: سقط من بعد بذاته وهو: «والنداء الذي سمعه موسى قديم أزلي لم يزل ولا يزال» ومنهم . . . (م).

(٤) في الأصل: إدراك المخلوق، وما هنا هو الصواب. (م).

(٥) في الأصل: بمنزلة جعل الأعمى. (م).

(٦) في الأصل: عن الأعمى (١٢/ ١٣٢) (م).

(٧) في الأصل: إنه يكلم. (م).

مخلوق[١]، ويقولون عن أَنفسهم أنهم أَهل السنة الموافقون للسلف الذين يقولون[٢] القرآن كلام الله غير مخلوق، وليس قولهم قول السلف، لكن قولهم أَقرب إلى السلف[٣] من وجه. أَما كون قولهم أَقرب فلأَنهم[٤] يقولون إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وهذا قول السلف. وهؤلاء عندهم لا يقدر الله على شي من كلامه فليس[٥] كلامه بمشيئته واختياره بل كلامه عندهم كحياته، وهم يقولون: الكلام عندنا صفة ذات لا صفة فعل. والخلقية يقولون: صفة فعل، لا صفة ذات. ومذهب السلف أَنه صفة فعل وصفة ذات[٦] معاً. فكل منهم[٧] موافق للسلف من وجه دون وجه[٨].

ونظير هذا اختلافهم في أفعاله تعالى ومسائل القدر؛ فإن المعتزلة يقولون أنه يفعل لحكمة مقصودة وارادة الإحسان إلى

---

(١) في الأصل: يقولون القرآن مخلوق. بدون أن (م).
(٢) في الأصل: الذين قالوا إن القرآن. (م).
(٣) في الأصل: إلى قول السلف. (م).
(٤) هنا سقط ثلاثة أسطر بين فلأنهم ويقولون وهي: فلأنهم «يثبتون لله كلاماً قائماً بنفس الله وهذا قول السلف بخلاف الخلقية الذين يقولون ليس كلامه إلا ما خلقه في غيره، فإن قول هؤلاء مخالف لقول السلف، وأما كون قول الخلقية أقرب فلأنهم» يقولون . . . (١٢/ ١٣٢-١٣٣). (م).
(٥) في الأصل: وليس. (م).
(٦) في الأصل: صفة ذات وصفة فعل. (م).
(٧) في الأصل: منهما (م).
(٨) هنا قفز الشيخ إثني عشر سطراً ولم أنقلها لأن الظاهر أنه تعمد تجاوزها لأنها في مسائل القدر واكتفى بما بعدها. (م).

العباد، لكن لا يثبتون لفعله حكمة تعود إليه، وأُولئك يقولون لا يفعل لحكمة ولا لمقصود أَصلا. فأولئك اثبتوا حكمة لكن لا تقوم به، وهؤلاء لا يثبون له(١) قصدا يتصف به ولا حكمة تعود إليه(٢).

وكذلك في الكلام: أُولئك أَثبتوا كلاماً هو فعله لا يقوم به، وهؤلاء يقولون مالا يقوم به لا يعود حكمه إليه. والفريقان يمنعون أن تقوم(٣) به حكمة مرادة له، كما يمنع الفريقان أَن يقوم به كلام وفعل يريده. وقول أَولئك أَقرب إلى قول السلف والفقهاء إذ اثبتوا الحكمة والمصلحة في أفعاله وأَحكامه(٤)، واثبتوا كلاماً يتكلم به بقدرته ومشيئته. وقول هؤلاءِ أَقرب إلى قول السلف إذ اثبتوا الصفات وقالوا لا يوصف بمجرد المخلوق المنفصل عنه الذي لم يقم به أَصلا ولا يعود إليه حكم من شي لم يقم به فلا يكون متكلماً بكلام لم يقم به(٥) ولا قديرا بقدرة لم تقم به.

فكل من المعتزلة والأَشعرية في مسائل كلام الله وأفعال الله(٦)

---

(١) في الأصل: حكمة ولا قصداً (١٢/ ١٣٤). (م).

(٢)في الأصل: حكمة ولا قصداً يتصف به والفريقان لا يثبتون له حكمة ولا مقصوداً يعود إليه. (م).

(٣) في الأصل: يقوم. والصواب ما هنا وهذا تصحيف (م).

(٤) في الأصل: في أحكامه وأفعاله. (م).

(٥) في الأصل: بعد: لم يقم به «ولا يكون حكيما كريما ورحيما بحكمة ورحمة لم تقم به، كما لا يكون عليما بعلم لم يقم به، وقديراً بقدرة لم تقم به ولا يكون محباً راضياً غضباناً بحب ورضاً وغضب لم يقم به». وهنا اكتفى بـ: ولا قديراً بقدرة لم تقم به. (م).

(٦) في الأصل: بعد وأفعال الله: بل وسائر صفاته وافقوا السلف . . . (م).

وافقوا السلف والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه، وليس قول أحدهم[١] قول السلف دون الآخر. لكن الأشعرية في جنس مسائل الصفات[٢] والقدر أقرب إلى قول السلف والأئمة من المعتزلة[٣]. انتهى.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «الصواعق ج٢ ص٢٩٣»[٤]: - فصل - : قول اتباع الرسل الذين تلقوا عنهم هذا الباب[٥]: اثبتوا لله صفة الكلام كما اثبتوا له سائر الصفات. ومحال قيام هذه الصفة بنفسها كما يقوله بعض المكابرين أنه خلق الكلام لا في محل، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها[٦] كما يقوله المكابر الآخر أنه خلق في محل فكان هو المتكلم[٧] دون المحل قالوا والكلام الحقيقي هو الذي يوجد بقدرة المتكلم وأرادته قائماً به لا يعقل غير هذا، وأما[٨] ما كان موجودا بدون قدرته ومشيئته وإنه سمع[٩] منه فانه ليس بكلام له وإنما هو مخلوق خلقه الله فيه،

(١) في الأصل: أحدهما هو قول (م).
(٢) في الأصل: في جنس مسائل الصفات، بل وسائر الصفات والقدر (١٢/ ١٣٥). (م).
(٣) الشيخ رحمه الله اقتصر على نقل هذا من الرسالة وبقي في الأصل أكثر مما نقل، لأنه اكتفى بما أراد، وكأنه فبما سبق كان يختصر أحياناً متعمداً. (م).
(٤) وفي نسختنا التي تقابل عليها (٤/ ١٣١٤).
(٥) في الأصل: تلقوا هذا الباب عنهم. (م).
(٦) في الأصل: قيامها بغير الموصوف بها. (م).
(٧) في الأصل: المتكلم به. (م).
(٨) في الأصل: فأما (م).
(٩) في الأصل: وإن سمع. (م).

فلو كان ما قام بالرب تعالى من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شي آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع، قالوا ولو لم يكن هناك الفاظ مسموعة حقيقة السمع لم يكن ثم صفة كلام البتة، ولو كان عاجزا عن الكلام في الأَزل لم يصر قادرا عليه فيما لم يزل، فانه إذا كانت حاله قبل وبعد سواء وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره فمن المستحيل أَن تتجدد له هذه الصفة بعد أَن كان فاقداً لها بالكلية، وكذلك إثبات قدم عين كل فرد من أنواع[١] الكلام وبقائه أزلا وأبدا أَو[٢] اقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شي منها لغيره لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة.

وقد دلت النصوص النبوية أنه يتكلم إذا شاء بما شاءَ، وأنه كلامه يسمع، وان القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقاً، لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قال بنفسه[٣] (المص) و(حمعسق) (كهيعص) وأن القرآن جميعه حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به وليس بمخلوق ولا بعضه قديما وهو المعنى وبعضه مخلوقاً[٤] وهو الكلمات والحروف ولا بعضه كلامه وبعضه كلام غيره، ولا الفاظ القرآن

(١) في الأصل: كل فرد فرد من أفراد أنواع الكلام. (م).
(٢) في الأصل: وأبداً واقتران. (م).
(٣) في الأصل: قاله بنفسه، واشار في الهاشية أن في بعض النسخ قال. والصواب هو كما هنا: قال بنفسه. (م).
(٤) في الأصل: مخلوق. (م).

وحروفه ترجمة ترجم بها جبريل أَو[١] محمد عليهما السلام[٢] عما قام بالرب من المعنى من غير أَن يتكلم الله بها، بل القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه تكلم الله به حقيقة.

والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول ﷺ[٣] عن جبريل عن رب العالمين، فللرسولين منه مجرد التبليغ والأَداء، لا الوضع والإنشاء، كما يقوله[٤] أَهل الزيغ والاعتداء. فكتاب الله عندهم غير كلامه، كتابه مخلوق، وكلامه غير مخلوق، والقرآن أن أريد به الكتاب كان مخلوقاً، وأن أُريد به الكلام كان غير مخلوق. وعندهم ان الذي قال السلف هو غير مخلوق هو عين[٥] القائم بالنفس، وأما ما جاءَ به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق وهو عبارة عن ذلك المعنى. وعندهم إن الله تعالى لم يكلم موسى وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أَن سمع[٦] منه كلمة واحدة، وما يقرأُه القارئون ويتلوه التالون فهو عبارة عن ذلك المعنى وفرعوا على هذا الأصل فروعاً:

منها أَن كلام الله لا يتكلم به غيره فإنه عين[٧] القائم بنفسه

(١) في الأصل: ومحمد (٤/١٣١٦). (م).
(٢) في الأصل: بدون عليهما السلام. (م).
(٣) في الأصل: رسول الله ﷺ. (م).
(٤) في الأصل: كما يقول. (م).
(٥) في الأصل: العين والصواب ماهنا. (م).
(٦) في الأصل: يسمع. (م).
(٧) في الأصل: العين والصواب ما هاهنا. (م).

ومحال قيامه بغيره فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه[١].

ومنها أن هذا الذي جاءَ به الرسول ﷺ ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.

ومنها أنه لا يقال أن الله[٢] تكلم ولا يتكلم ولا قال ولا يقول ولا خاطب ولا يخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة وذلك المعنى صفة أزلية لا تتعلق بالمشيئة.

ومنها أنهم قالوا لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض، فألفاظ النزول[٣] لا حقيقة لشي منها عندهم.

ومنها أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا عشر ولا جزءَ له البتة.

ومنها أن معنى الأمر هو معنى النهي ومعنى الخبر والاستخبار وكل[٤] ذلك معنى واحد بالعين.

ومنها أن نفس التوراة هي نفس القرآن، ونفس الإنجيل الزبور[٥]، والاختلاف في التأويلات فقط.

---

(١) في الأصل: ولا قرأه [ولا أقرأه]، وذكر المحقق أن ما بين القوسين ساقط من بعض النسخ. (م).
(٢) في الأصل: تعالى. (م).
(٣) في الأصل: النزول والتنزيل. (م).
(٤) في الأصل: كل بدون واو، وأشار المحقق في الحاشية أن في بعض النسخ بالواو. (م).
(٥) في الأصل: والزبور، وهو خطأ هنا مطبعي. (م).

ومنها أن هذا القرآن العربي تأليف جبريل ومحمد[١]، ومخلوق[٢] خلقه الله تعالى[٣] في اللوح المحفوظ فنزل به جبريل من اللوح لا من الله على الحقيقة كما هو معروف من أقوالهم.

ومنها أن ذلك المعنى[٤] القديم يجوز أن تتعلق به الادراكات الخمس فيسمع ويرى ويشم ويذاق ويلمس إلى غير ذلك من الفروع الباطلة سمعاً وعقلا وفطرة.

وقد دل القرآن وصريح والسنة والمعقول وكلام السلف على أن الله سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته، وهي صفة ذات وفعل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[٥][٦] (فإذا) تخلص الفعل للاستقبال و (أَنْ) كذلك و(نقُوْل) فعل دال على الحال والاستقبال و(كُنْ) حرفان يسبق أحدهما الآخر. فالذي اقتضته هذه الآية هو الذي في صريح العقول والفطر. وكذلك قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ الآية[٧][٨] سواء كان الأمر هاهنا أمر تكوين أو أمر تشريع

(١) في الأصل: أو محمد، وهو الصواب. (م).
(٢) في الأصل: أو مخلوق. (م).
(٣) في الأصل: بدون تعالى. (م).
(٤) في الأصل: العين، والصواب ما هنا. (م).
(٥) سورة النحل ٤٠.
(٦) في الأصل: زيادة آية أخرى وهي: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾
(٧) سورة الإسراء ١٦.
(٨) في الأصل: إكمال الآية ﴿...أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾. (م).

فهو موجود بعد أن لم يكن. وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾[١] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره. وكذلك قوله تعالى[٢]: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ الآيات كلها. فكم[٣] من برهان يدل على أن التكلم هو الخطاب[٤] وقع في ذلك الوقت. وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ والذي ناداه هو الذي قال له: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾[٥]. وكذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ﴾ وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٦] وقوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ الآية[٧][٨] ومحال أن يقول سبحانه لجهنم ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قبل خلقها ووجودها.

وتأمل نصوص القرآن من أوله إلى آخره، ونصوص السنة ولا سيما أحاديث الشفاعة، وحديث المعراج وغيرها كقوله «**أَتَدْرُونَ**

---

(١) سورة الأعراف ١١.
(٢) في الأصل: بدون تعالى. (م).
(٣) في الأصل: فكم فيها من برهان. وأشار المحقق أن (فيها) سقط من بعض النسخ. (م).
(٤) في الأصل: أن التكليم والخطاب. (م).
(٥) سورة طه ١٤.
(٦) سورة سباه ٤٠.
(٧) سورة ق ٣٠.
(٨) في الأصل: إكمال الآية: ﴿...هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾. (م).

مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ»[١] وقوله: «**إِنَّ اللهَ يُحْدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنَّ مِمَّا أَحْدَثَ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ**»[٢] وقوله: «**مَامِنْكُمْ مِنْ أَحد إِلَّا سيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْس بيْنَهُ وَبيْنهُ تُرْجُمان وَلَا حاجِبٌ**»[٣] وقد أَخبر الصادق المصدوق أَنه[٤] يكلم ملائكته في الدنيا فيسأَلهم وهو أَعلم بهم كيْف ترَكتُمْ عباديْ، ويكلمهم يوم القيامة، ويكلم أَنبياءَه ورسله وعباده المؤمنين يومئذ، ويكلم أَهل الجنة في الجنة ويسلم عليهم في منازلهم، وأنه كل ليلة يقول: «**منْ يسْأَلُني فأعْطيَهُ مَنْ يَسْتَغْفرُني فَاغْفرَ لَهُ**»[٥] «**مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَديم وَلَا ظُلُوم**»[٦] وقال النبي ﷺ «**إِنَّ اللهَ أَحْيَا أَبَاكَ وَكَلَّمَهُ كفَاحاً**» **ومعلوم أنه في ذلك الوقت كلمه وقال له «تَمَنَّ عَلَيَّ»**[٧].

إِلى أَضعاف أَضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي ان دفعت دفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازا كان الوحي كله

---

(١) متفق عليه. وفي النسائي «ألم تسموا ما قال ربكم الليلة».

(٢) أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي وابن حبان. قلت: في حاشية تحقيق الأصل أن البخاري أخرجه في صحيحه معلقاً مجزوماً به. (م).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عدي بن حاتم «وليلقين الله أحدكم.

(٤) في الأصل: عنه أنه (م).

(٥) متفق عليه.

(٦) أخرجه مسلم، حديث (٧٥٨).

(٧) رواه الحاكم والترمذي. قلت: ذكر محقق الأصل في الحاشية ص (١٣٢٣) أنه جاء من طرق وذكر أن أحدها حسن والآخر جيد أي إسنادهما. (م).

مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي[١] كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب[٢] وظهور معانيها وتعداد[٣] أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر وأوضح من كل واضح، فكم جهد ما يبلغ التاويل والتحريف والحمل على المجاز، هب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، افيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر.

ولا تستبعد قولنا أكثر من ثلاثة آلاف فكل آية وكل حديث إلهي وكل حديث فيه اخبار[٤] عما قال الله تعالى أو يقول وكل أثر فيه ذلك إذا استقرئت زادت على هذا العدد، ويكفي أحاديث الشفاعة، وأحاديث الرؤية، وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله[٥] لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله موسى[٦]، وأحاديث التكلم[٧] عند النزول الآلهي، وأحاديث

---

(١) في الأصل: الدين، والصواب ما هنا. (م).
(٢) في الأصل: والسنة، وذكر في الحاشية أنها ساقطة من بعض النسخ. (م).
(٣) في الأصل: وتعدد. (م).
(٤) في الأصل: الإخبار. (م).
(٥) في الأصل: تعالى. (م).
(٦) في الأصل: لموسى. (م).
(٧) في الأصل: تكلمه، وأشار أن في بعض النسخ: تكليمه. (م).

التكلم[١] بالوحي، وأحاديث تكليمه[٢] للشهداء، وأحاديث تكليمه كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة. إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه مجازا لا حقيقة له. سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نشهدك ونشهد ملائكتك وحملة عرشك[٣] وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر وكانت أشجار الأرض أقلاما يكتب بها ما تكلم[٤] به لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك، وانك لك الخلق والأمر فأنت الخالق حقيقة. انتهى[٥].

وقال أيضاً في كتابه «الكافية الشافية، لانتصار الفرقة الناجية» في مقدمة الكتاب: «فصل»[٦] وأما القرآن فاني أقول: إنه كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وتكلم[٧] الله به صدقاً، وسمعه جبريل منه[٨] حقاً، وبلغه محمدا ﷺ وحياً. انتهى.

---

(١) في الأصل: تكلمه. (م).
(٢) في الأصل: (تكليم) وأشار في الحاشية أن في بعض النسخ كما هنا. (م).
(٣) في الأصل: حملة عرشك وملائكتك. (م).
(٤) في الأصل: ما تتكلم وهو تحريف وفي الحاشية: ما يتكلم (م).
(٥) مختصر الصواعق (٤/ ١٣٢٥).
(٦) في الأصل: بدون فصل وفي نسخة الشيخ الهراس بها. (م).
(٧) في الأصل: تكلم بدون واو (١/ ١٣) وكذا في نسخة الهراس (١/ ١٠) (م).
(٨) في الأصل: منه جبرائيل وعند الشيخ الهراس بدون منه (م).

وقال أيضاً في «الكافية الشافية»:

والله ربي لم يزل متكلما
وكلامه المسموع بالآذان
صدقاً وعدلا أُحكمت آياته[1]
طلباً واخبارا بلا نقصان
ورسوله قد عاذ بالكلمات من
لدغ ومن عين ومن شيطان
أفعاذ[2] بالمخلوق حاشاه من[3] الا
شراك وهو معلم الإيمان
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته
سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القرآن عين كلامه الـ
مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لابعضه
لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله
واللفظ والمعنى[4] بلا روغان

(١) في الأصل: كلماته وليس آياته وكذا عند الهراس. (م).
(٢) في الأصل: أيعاذ، وعند الهراس (م).
(٣) من ساقطة من الأصل (م).
(٤) في الأصل وعند الهراس: اللفظ والمعنى بدون واو (م).

لكن أصوات العباد وفعلهم
كمدادهم والرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلام
كلام رب العرش ذي الإحسان
هذا إذا ما كان ثم وساطة
كقراءة المخلوق للقرآن
فإذا انتفت تلك الوساطة مثل ما
قد كلم المولود من عمران
فهنالك المخلوق نفس السمع لا
شيء من المسموع فافهم ذان
هذى مقالة أحمد ومحمد[1]
وخصومهم من بعد طائفتان
إحداهما زعمت بان كلامه
خلق له ألفاظه ومعان[2]
والآخرون أبوا وقالوا شطره
خلق وشطر قام بالرحمان
زعموا القرآن عبارة وحكاية
قلنا كما زعموه قرآنان

(١) في شرح الأصل: أحمد بن حنبل والبخاري (١/ ١٦٠) (م).
(٢) في الأصل: ومعاني، والصواب ماهنا (م).

هـــذا الـــذي نـــتـــلـــوه مـــثـــل مـــا[(١)]
قـــال الـــولـــيـــد وبـــعـــده الـــفـــئـــتـــان
والآخـــر الـــمـــعـــنـــى الـــقـــديـــم فـــقـــائـــم
بـــالـــنـــفـــس لـــم يـــســـمـــع مـــن الـــديـــان
والأمـــر عـــيـــن الـــنـــهـــي واســـتـــفـــهـــامـــه
هـــو عـــيـــن إخـــبـــار وذو وحـــدان
وهـــو الـــزبـــور وعـــيـــن تـــوراة وإنـــ
جـــيـــل وعـــيـــن الـــذكـــر والـــفـــرقـــان
الـــكـــل مـــعـــنـــى[(٢)] واحـــد فـــي نـــفـــســـه
لا يـــقـــبـــل الـــتـــبـــعـــيـــض فـــي الأذهـــان
مـــا إن لـــه كـــل ولا بـــعـــض ولا
حـــرف ولا عـــربـــي ولا عـــبـــران[(٣)]
ودلـــيـــلـــهـــم فـــي ذلـــك بـــيـــت قـــالـــه
فـــيـــمـــا يـــقـــال الاخـــطـــل الـــنـــصـــران[(٤)]
يـــا قـــوم قـــد غـــلـــط الـــنـــصـــارى قـــبـــل فـــي
مـــعـــنـــى الـــكـــلام ومـــا اهـــتـــدوا لـــبـــيـــان
ولأجـــل ذا جـــعـــلـــوا الـــمـــســـيـــح الـــهـــهـــم
إذ قـــيـــل كـــلـــمـــة خـــالـــق رحـــمـــان

---

(١) في الأصل وعند الهراس: نتلوه مخلوق كما قال (م).
(٢) في الأصل وعند الهراس: الكل شيء واحد (م).
(٣) عند الهراس: عبراني (م).
(٤) في الأصل وعند الشيخ الهراس: النصراني (م).

ولأجل ذا جعلوه ناسوتا ولا
هوتاً قديماً بعد متحدان
ونظير هذا من يقول كلامه
معنى قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروف[1] نا
سوتية[2] لكن هما غيران
فانظر إلى ذا[3] الاتفاق فانه
عجب وطالع سنة الرحمن
وتكايست أُخرى وقالت ان ذا
قول محال وهو خمس معان
تلك التي ذكرت ومعنى جامع
لجميعها كالأُس للبنيان
فيكون أنواعاً وعند نظيرهم
أَوصافه وهما متفقان[4]
إن الذي جاءَ الرسول به لمخ
لوق ولم يسمع من الديان

(١) في الأصل وعند الهراس: حروفه (م).
(٢) في الأصل وعند الهراس: ناسوته (م).
(٣) في الأصل: ذاك، والصواب ماهنا (م).
(٤) في الأصل وعند الهراس: فمتفقان (م).

والـخـلـف بـيـنـهـم فـقـيـل مـحـمـد
أَنــشــاه تــعــبــيــر(١) عــن الــقــرآن
والآخـــرون أَبـــوا وقـــالـــوا إنـــمـــا
جـــبـــريـــل انـــشـــاه عـــن الـــمـــنـــان
وتـــكـــايـــســـت أَخـــرى وقـــالـــت انـــه
نـــقـــل مـــن الـــلـــوح الـــرفـــيـــع الـــشـــان
فـــالـــلـــوح مـــبـــدؤه ورب الـــلـــوح قـــد
أَنـــشـــاه خـــلـــقـــاً فـــيـــه ذا حـــدثـــان
هـــذى مـــقـــالات لـــهـــم فـــانـــظـــر تـــرى
فـــي كـــتـــبـــهـــم يـــامـــن لـــه عـــيـــنـــان
لـــكـــن أَهـــل الـــحـــق قـــالـــوا إنـــمـــا
جـــبـــريـــل بـــلـــغـــه عـــن الـــرحـــمـــان
ألـــقـــاه مـــســـمـــوعـــا لـــه مـــن ربـــه
لـــلـــصـــادق الـــمـــصـــدوق بـــالـــبـــرهـــان

انتهى

(١) في الأصل وعند الهراس: تعبيراً (م).

وقال شارح الطحاوية رحمه الله عند قول الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشورة[١]: وأنزله على رسوله وحياً. أي أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبريل[٢] من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك، وقرأه على الناس قال تعالى:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾[٣] انتهى.

وكلام أهل العلم من المحققين لاسيما هذين الإمامين العظيمين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في هذه المسالة كثير جدا لو استقصيناه لاستدعى مجلدا. وفيما نقلناه كفاية لمن نور الله بصيرته. والله أساله أن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين. أملاه الفقير إلى مولاه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ.

(طبع بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة في ١٣٦٩هـ)

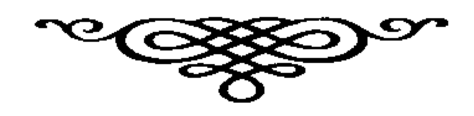
---

(١) العقيدة الطحاوية، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الازدي الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ. قلت: وهذا النقل في ص: ١٤٤. من النسخة التي حققها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله وكان الطبع تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض - عام ١٤١٣هـ. (م).

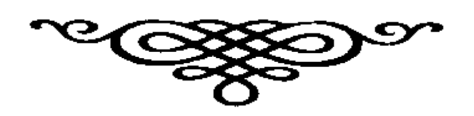
(٢) في الأصل: جبرائيل (م).

(٣) سورة الإسراء ١٠٦.

إلى هنا انتهى تحقيق هذه الرسالة المباركة، قال محققها والمقدم لها الفقير إلى عفو الله/ عبدالقادر بن محمد بن يحيى الغامدي الجعيدي، جعل الله هذا العمل في ميزان حسنات المؤلف والشيخ محمد بن قاسم رحمهما الله والمحقق وكل من ساهم في كتابة وطبع ونشر هذا الكتاب، ومن قرأه ونظر فيه، وجعله من العلم الذي لا ينقطع أجره إلى يوم الدين إنه على كل شيء قدير وهو أرحم الراحمين وأجود الأجودين. أمين. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. ١٨/ ١٠/ ١٤٢٥هـ. مكة المكرمة.



فهرس الآيات



فهرس الأحاديث



فهرس مجمل للموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

